جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الأول

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

شعوب بلاد ما بين النهرين
ودورهم في بناء أسس حضارة العراق القديمة

م.د. احمد بهاء عبد الرزاق
بكلية التربية للبنات
جامعة الكوفة – جمهورية العراق

شعوب بلاد ما بين النهرين ودورهم في بناء أسس حضارة العراق القديمة

م.د. احمد بهاء عبد الرزاق
كلية التربية للبنات
جامعة الكوفة، جمهورية العراق

المقدمة:

حصلت المدن السامية خلال الالف الثاني قبل الميلاد على السيطرة السياسية فانصهرت تدريجياً الشعوب غير السامية والمتمثلة بالسومريون، مما ادى ذلك الى تقهقر اللغة السومرية أمام اللغة الاكدية، ولكن يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ان انصهار الشعب السومري في الشعوب السامية رافقه استيعاب الساميين لعناصر عديدة من اللغة السومرية التي أصبحت لغةَ ميتة لاسيما فيما يتعلق بالأسماء الجغرافية والاصطلاحات العقائدية، فمع ان اللغة السومرية لم تعد تستعمل في الكلام والمخاطبات الا ان الكتبة البابليين والاشوريين تعلموها بدقة واتقان– كما في العصور الوسطى عندما تعلم الاوربيون الكتابة باللغة اللاتينية مع انها لم تستعمل كلغة للمحادثة – لذلك فإنه يمكن القول بأنه بدون معرفة اللغة السومرية لم تكن الثقافة مستطاعة.

وعلى الرغم من انصار السومريون الى درجة ادت الى فقدهم لغتهم الام، الا ان ذلك لم يكن عائقاً امامهم للابداع والارتقاء والتطور، فما تركوه من تراث كبير على الشعوب السامية كان له بالغ الاثر في نقل تصور مهم عنهم بأنهم كانوا بالفعل بناة حضارة عريقة، حتى انه ومن الاصح ان نسمي الحضارة البابلية باسم الحضارة ((السومرية –البابلية)).

اولا / تطور الكتابة والتعليم:

بما ان طراز الكتابة الاكدية كان قد اعتمد أساساً على طراز الكتابة السومرية، فقد أخذ عنه مبدأ الحركات الغريبة على الكتابات السامية الاخرى كالفينقية والعبرية وغيرها[١].

ان تثبيت الحروف الصوتية الاساسية مثل (أ – ي – و) في الكتابة كانت معضلة كبرى ساعدت على ثقل الكلام الحي بمنتهى الدقة، والأكاديون مدينون بهذه المنجزات الى معلميهم السومريون[١] وقد

---

[١] محمد خليفة احمد حسن، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣٦.

أطلق على طراز الكتابة الذي استعملته شعوب بلاد النهرين، ومن ثم انتشر الى ما وراء الحدود، اسم الكتابة المسمارية او الاسفينية، وهذه التسمية الاصطلاحية جاءت من الشكل المميز لحروف الكتابة التي تشبه الاسافين او المسامى[٢] ولكن هذا الطراز الخاص من الكتابة الذي يتميز عن طراز الكتابة الهيروغليفية الصينية والمصرية، وعن اشكال الكتابات الاخرى ايضاً، لم يكن اول طراز للكتابة في بلاد النهرين، بل ان اقدم الكتابات هناك كانت كما في كل مكان هي الكتابة التصويرية التي في كثير من الاحيان كانت الصورة الواحدة صورة تنقل كلمة او صورة تنقل مفهوماً تعطي عدة معاني مختلفة، فمثلاً رسمة العين لم تكن تعني فقط جهاز البصر، وانما مفاهيماً اشتقاقية اخرى لها نفس المعنى او المفهوم أي العين.[٣]

ان تعداد المعاني للرمز الكتابي الواحد أدى الى صعوبات كبيرة، فقراءة نص ما كانت كحل احجية من الاحاجي، لذلك لم يستطع القراءة والكتابة بشكل صحيح الا الكاتب الخبير الذي قضى سنيناً عديدة في الدراسة، ولكن الشكل المعقد للرموز الكتابية اخذ تدريجياً يميل الى البساطة، حتى انه في نهاية الالف الثالث ق.م أصبحت الرموز الكتابية بعيدة كل البعد عن صورها الاولية.[٤]

وبما ان المادة الاساسية والرئيسية للكتابة كانت من الطين الذي قطعوه على شكل الواح مستطيلة او موشورة او مستديرة او غير ذلك، فأن الكاتب عندما يرسم الخطوط لوضع صورة تقريبية، قد يخفف ضغط يده بصورة عفوية فيتحول بذلك الخط المستقيم الى اسفين افقي او عمودي او منحرف، والخطوط الدائرية قد تصبح مستقيمة عند الكتابة بسرعة، فمثلاً الدائرة التي كانت تعبر عن الشمس اصبحت تشبه شكل المعين، وفيما بعد تحولت الى ثلاثة أسافين، احدهم عمودي واثنان صغيران يلتصقان به من الجانبين.[٥]

ان معرفة القراءة والكتابة في بلاد النهرين، كما في بلدان الشرق الاخرى، كانت مقتصرة ومختصرة على أقلية محدودة، فالبنات عامة لم يذهبن الى المدرسة – ربما بنات الملوك والامراء والكهنة

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص٣١٠.

(٢) صمويل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة : فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣، ص ٤٣.

(٣) محمد خليفة احمد حسن، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٤) نخبة من الباحثين العراقيين، المصدر السابق، ص ٣١١.

(٥) سليم طه التكريتي، العراق القديم: دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية و الاجتماعية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص٣٥٨.

تعلموا في البيوت ولكن لا توجد اخبار مباشرة حول ذلك– التي اقتصرت على الصبية فقط من ابناء الكهنة والموظفين وكبار الشخصيات المدنية والعسكرية، وكان مكانها في المعابد والقصور، حيث ان املاك المعابد ودوائر الدولة كانت بحاجة الى أُناس متعلمين، وقد كان التعليم لقاء اجر عدداً من الهدايا الاضافية للمعلمين والطلبة الكسالى يتعرضون لعقاب جسدي وكان في المدرسة مراقب يحمل كرباجاً لهذا الغرض، لكن الطلبة كانوا معفيين من الجهود العضلية، وعند انتهاء دراستهم يستلمون وظائفاً ذات دخل معين.[١]

لقد وصلتنا مئات الالوف من النصوص المسمارية المكتوبة على الواح من الطين وقسم قليل منها محفور على القرميد أو صفائح معدنية، وبفضل هذا نستطيع ان نطلع على الانتاج العلمي والادبي لشعوب بلاد النهرين لكن هذا الانتاج كما في البلدان القديمة الاخرى، يحمل طابعاً من التفكير الديني الاسطوري، الذي تجاوزوه تدريجياً ولكن ببطء وليس بصورة نهائية[٢].

ثانياً / الديانة:

على الرغم من ان عقائد السومريين والاكديين كانت قد اتصفت كباقي العقائد الدينية القديمة بنزعة المحافظة على القديم، وثبات الاراء والتصورات التي فات زمانها، كان لابد لها ان تتغير وتتطور تحت تأثير التحولات الاقتصادية والتطورات الاجتماعية.[٣]

في مرحلة نظام المجتمع البدائي لم يشعر الانسان بعد بسيطرته على الطبيعة التي تحيط به، ولم ينفصل عن عالم الحيوان، فكل عشيرة – والتي اصبحت فيما بعد كل قبيلة– كانت تعيد أصلها الى وحش ما أو طير أو سمكة او حشرة، وليس من قبيل الصدفة ان الملوك القدماء أطلقوا على انفسهم أسماء بعض الحيوانات كالخروف والعقرب وغيره، وحتى في عصور متأخرة بعد أن تلاشى النظام القبلي، كان بعض الالهة يصور على شكل حيوانات او طيور، ولكن هذه كانت حالات شاذة، اذ ان معظم الالهة في الدول ذات النظام العبودي أصبح على شكل انسان.[٤]

---

(١) فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٨٦.

(٢) نخبة من الباحثين العراقيين،المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٣) سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧٣.

(٤) محمد خليفة احمد حسن، المصدر السابق، ص ١٤٤.

ومن ناحية اخرى فإن الانتقال من نظام سيادة الام الى نظام سيادة الاب في الاسرة انعكس بشكل واضح على الايدولوجية الدينية، ففي العهود القديمة لعبت الالهة المؤنثة دوراً رئيسياً، اذ ليس من قبيل الصدفة ان الالهة المؤنثة تيامات كانت تمثل عنصر الماء[١]. ولكن فيما بعد عندما انتظمت التصورات الدينية من قبل الكهنة وتشكل مجمع الالهة، فإن معظم الالهة فيه أصبحت مذكرة، وعلى الرغم من ان الالهة المؤنثة كانت قد شاركت في المجلس الالهي، الا ان دورها أصبح في الدرجة الثانية، وهكذا انتصر مبدأ سيادة الرجل في المجال الديني لدى شعوب بين النهرين بعد ان انتصر في مجال العلاقات الاجتماعية.[٢]

كان عدد الالهة المعبودة في بلاد النهرين كبيراً جدا، فكل مدينة وحتى كل حي او قرية صغيرة كانت ام كبيرة، كان لها اله او الهة تحميها، وبعض الالهة كانت تعبد في جميع انحاء البلاد، وبعضها كانت الهة محلية[٣]. اما بالنسبة لقوانين الطبيعة الحتمية كتبدل الليل والنهار وفصول السنة، وكذلك التحولات الاقتصادية كظهور الزراعة وتربية الحيوانات، والاختراعات التقنية، كل هذا كان يفسر بحوادث من حياة الالهة[٤].

وضع السومريون القدماء نظرية معقدة حول نشأة الكون، فالعنصر الاول حسب تلك النظرية الاسطورية كان عبارة عن عيون مائية، وأول المحيطات تصوروه على شكل امرأة عملاقة، ثم نشأت في داخلها اليابسة على شكل جبل ضخم، فكانت قمته هي اله السماء انو وقاعدة الجبل المسطحة اعتبروها الهة الارض كي، ولم يكن كلا الالهين منفصلين عن بعضهما البعض، ثم من هذين الالهين ولد اله الهواء إلليل وعندما كبر شعر بضيق المكان، فقطع بسكينه الجبل وفصل الى الابد الأب (السماء) عن الأم (الأرض) ومنذ ذلك الحين أصبح يحكم في الأرض، وخلف جيلاً من الالهة فابنه الاكبر أصبح اله القمر واطلق عليه السومريون اسم "نانار" والاكاديون سموه "سين" الذي خلف ولدين احدهما اصبح اله الشمس (السومريون سموه اوتو والاكاديون سموه شاماش)، والثاني اصبح الهة نجم الزهرة (السومريون سموها إنانا والاكاديون قارنوها بآلهتهم عشتار) علماً ان هذا الاله مزدوج الشخصية فهو مذكر في

---

(١) فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٨٧.

(٢) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، تعريب: الان البر أبونا و وليد الجادر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨، ص٣٨٣.

(٣) سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص٧٥.

(٤) صمويل نوح كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر ومراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي، بغداد والقاهرة، ١٩٥٧، ص ١٠٧.

الصباح ومؤنث في المساء، والتي اعتبرت الهة الحب والخصب[١] وهكذا اعتقد السومريون ان القمر أعمر من الشمس والنجوم، لذلك اعتبروا ان الليل هو النصف الاول من اليوم ويبدأ عندما يدب الظلام.[٢]

عندما أصبحت مدينة بابل المركز الرئيسي في بلاد النهرين، فإن اسطورة نشوء الكون طرأ عليها تغييراً جديداً، اذ ظهر في وسط بابل الاله مردوخ الذي يحمي العاصمة الجديدة، ولكن كهنة بابل لم يستطيعوا ان ينكروا ان مردوخ كان أصغر سناً من الاله أنو والاله إنليل وغيرهم من الالهة، حيث ان مدينة بابل ظهرت بعد المدن الاخرى التي ظهرت فيها الالهة السابقة، لذلك تحايلوا على ايجاد مخرج للأمر وقرروا إثبات حق الههم مردوخ في السيادة مدعين بأنه حقق بعض المآثر تجاه الالهة الاخرى.[٣]

ان جميع انجازات البشر نتيجة صراعهم مع الطبيعة والتحولات الاقتصادية الكبرى، كزراعة النباتات وتأنيس الحيوانات وظهور الصناعة وغير ذلك . كل هذا اعاده السومريون والاكاديون الى الارادة السماوية[٤] أما دور البشر فكان فقط تنفيذ لما يخططه في السماء من قبل، فحسب الاساطير السومرية كان نمط حياة الالهة بعد نشوء الكون وضعياً وقبيحاً، اذ تغذت بالاعشاب، وشربت المياه من السواقي وتجولت عارية، ولكن اخيراً بامر من الاله انليل والاله إنكي أوجد الاله لاخاو الغنم والماعز، ولكن تأمين بعض الاحتياجات الاخرى لم يكن مهمة سهلة عند عمال وعاملات السماء، إذ لم يكن لديهم الوقت الكافي لذلك، مما دعاهم الى الاستعانة بالعمال العاديين، عندئذ صنع اله الحكمة إنكي من الطين الناس الاوائل ليشتغلوا الارض ويربوا المواشي، ويؤمنوا لآلهة السماء كل ما تحتاجه من ضروريات الحياة.[٥]

بالإضافة الى الاساطير المتعلقة بنشوء الكون وظهور الانسان، فقد وضع السومريون والاكاديون مجموعة اخرى من الاساطير حول تفسير تبدلات الطبيعة، وأهم هذه الاساطير هي قصة موت وبعث

---

(١) صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) رينيه لابات، المصدر السابق، ص ٣٨٥.

(٣) كونتينو جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص٥٩.

(٤) صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٥) فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٨٨ .

الهة الخصب عشتار[١] هذه القصة تفسر لنا تبدل فصل الشتاء بالربيع، ونمو الحبوب المزروعة في الارض من السنبلة الميتة التي قطعها المنجل سابقاً، وهذا يعني انتصار الحياة على الموت.

ان مثال الالهة المعذبة استخدم للدعاية حول ضرورة تحمل الالام وضرورة الخضوع للمشيئة الالهية، وهذه الدعاية استخدمتها الطبقات المسيطرة في مجتمع بلاد النهرين لصالحها، كما ان دعاية الخضوع للمشيئة الالهية ظهرت ايضاً لمحاولة تفسير المصائب الطبيعية التي تنزلها الالهة كعقاب على عقوق البشر.[٢]

من الجدير بالملاحظة ان الاسطورة الخيالية حول الالهة لم تستقر على طابع واحد دائم في مفهوم البشر، اذ ان التحولات الاجتماعية كانت تؤدي باستمرار الى تبدل مفهوم البشر عن العلاقات القائمة بين الالهة.[٣] ففي أول الامر قُسمت الالهة الى مراتب فكان السبعة الاوائل منها اعلى مرتبة وبيدهم تقرير مصير العالم، ويليهم في المرتبة الثانية خمسون الهاً عظيماً، وفي المرتبة الثالثة يأتي عدد كبير من الالهة البسطاء ومادام نظام الديمقراطية القبلية سائداً في بلاد سومر واكد، فقد ظل هذا النظام معمولاً به في المجال السماوي أيضاً من بين الالهة، فمثلاً كان يجب على الاله انليل ان يحصل على موافقة الالهة الاخرين من اعضاء المرتبة الاولى لاقرار فكرته السابقة حول الانتقام من البشر بالطوفان.[٤]

ولكن تدريجياً أصبح التناقض الاجتماعي واضحاً وحاداً بين أصحاب العبيد والنبلاء والاشراف من جهة، وبين العبيد والجماهير الشعبية الكادحة من جهة اخرى، فتبدلت النظم والتقاليد القبلية السائدة لتحل مكانها علاقات ونظم جديدة، هذه النظم والعلاقات الجديدة تنتقل الى المجال السماوي أيضا.[٥]

كانت تقوم الضحايا والقرابين على شرف الالهة وخاصة في ايام الاعياد وتوضع على مذبح القرابين الموجود في باحة المعبد، اما الضحايا البشرية فقد حل محلها ذبح الخراف اعتباراً من الالف

---

[١] و م . هـ . بوب إدزارد، رولينع .ف، قاموس الالهة والاساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) والحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ترجمة: محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧، ص ٢١٢.

[٢] فوزي رشيد، المصدر السابق ص ٩٣.

[٣] نوح كريمر، من الواح سومر، المصدر السابق، ص ١١٤.

[٤] صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص ٧٤.

[٥] رينيه لابات، المصدر السابق، ص ٤٠٢ .

الثالث قبل الميلاد. وفي ايام الاعياد كانت تماثيل الالهة تخرج من المعابد ويطاف بها في استعراض احتفالي واحياناً تحمل في قارب مزين يعبر السواقي او الانهار، اما الصلوات والاناشيد الدينية فقط كان يرافقها عزف على المزمار او القيثارة، او غيرها من الالات الموسيقية.[١]

ثالثاً / ازدهار الاداب:

بالاضافة الى الاساطير الدينية، وصلتنا من شعوب بلاد النهرين القدماء ملاحم ادبية تتغنى بمآثر الابطال الذين تمتعوا بقوة وحكمة خارقتين، ولكنهم تميزوا عن الالهة الخالدة بأن مصيرهم سيكون كمصير باقي البشر، وعاجلاً ام اجلاً سيفارقون الحياة.[٢]

في تلك الملاحم الادبية تتشابك عناصر متعددة متنوعة، فالأدب الشعبي يتفاقم باضافات وشروح من صنع كتاب القصور والمعابد الذين يحاولون ان يسلكوا اتجاهاً طبقياً معيناً، ومن ناحية اخرى نرى ان اخبار الحوادث التاريخية الواقعية تغص بالمبالغات الواضحة وتنمق بالتفاصيل الاسطورية.[٣]

وأفضل ما يعبر عن هذا الطابع الادبي الخاص في بلاد النهرين القديمة السلسلة الملحمية عن البطل العظيم كلكامش او (جلجامش)، وقد حفظت من تلك السلسلة فصول مبعثرة باللغة السومرية اخذها فيما بعد الاكاديون فعدلوا فيها ونظموها وأنشأوا منها باللغة الأكادية قصيدة واحدة عن جلجامش تتألف من اثني عشر فصلاً ان جلجامش شخصية تاريخية حقيقية، حكم مدينة اوروك التي أصبحت في عهده مركزاً رئيسياً في بلاد النهرين، وقد تحدثت الاسطورة البطولية القديمة كيف ان جلجامش، وبعد موافقة المجلس الشعبي نظم النضال لتحرير مدينته من سلطة مدينة كيش المصدر نفسه، ص٣٣ [٤].

تتلخص الفكرة الرئيسية من تلك القصيدة ان اعظم الابطال لا يستطيع الحصول على الحياة الابدية وعليه ان يستسلم للآلهة، وبالإضافة الى القصائد الملحمية التي اوردنا نموذجاً واضحاً عنها، فقد وصلتنا ايضاً نماذج سومرية واكادية من الشعر الغنائي، حيث نظمت على شرف الاله اناشيد عديدة

---

[١] فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٩٤.

[٢] نخبة من الباحثين العراقيين، المصدر السابق، ص ٣١٩.

[٣] و م . هـ . بوب إدزارد، رولينع .ف، المصدر السابق، ص ٢١٤.

[٤] يوسف امين قصير، جلجاميش في العالم السفلي (مسرحية شعرية)، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢، ص ٣٢-٣٣.

يتغنى احدها بإله الشمس شاماس الذي يقاصص المجرمين ويحفظ المسافرين، واستعمل ايضاً نوع خاص من المحادثة الادبية التي تعبر عن التأملات العميقة حول فكرة الحياة[١]. ويعتبر نموذجاً لهذا النوع من الادب "حديث السيد مع العبد" ومضمونه ان احد الامراء غضب عليه الملك فتشاور مع عبده وسأله النصيحة ولكنه لا يجد مخرجاً من ذلك المأزق، حيث لا يأمل رحمة من قبل الملك، والتمرد ضده دون جدوى، ولكنه يستطيع ان يتمتع بمسرات الحياة قبل فوات الاون.[٢]

شكلت القصص الاسطورية ايضاً فناً خاصاً حفظ اكثر من غيره من الفنون ملامح الادب الشعبي، وقد وصلتنا منها بعض القصص عن حياة الحيوانات مثل (الصقر والثعبان، الثعلب الجبان المغرور، الاسد الشهم وغير ذلك).[٣]

وتجدر الاشارة ايضاً الى الامثال الشعبية، التي تعكس بدقة صغائر امور الحياة، وتشكل احياناً المواضيع الرئيسية في علم الاخلاق، كما ظهرت الحكم الشعبية الاصيلة في ادانة الحروب والنزاعات وغير ذلك.[٤]

رابعاً / الارتقاء في العلوم:

ان النشاط العلمي في بلاد النهرين، كما الآداب تطور تحت تأثير المعتقدات الدينية والتأملات والاعمال السحرية الخرافية التي مارسها الكهنة بصورة رئيسية. وفي كثير من الاحيان لم تكن التجربة او الملاحظة تهدف الى التعرف على حقيقة الكون، او تطبيق النتائج في الحياة العلمية[٥]. وقد نسبت الى كل مادة او ظاهرة صفات وهمية خيالية بالإضافة الى صفاتها الحقيقية، فحتى الظواهر الطبيعية المعروفة اعطيت طابعاً خرافياً، كما لم يكن هنالك تحديد بين الطبيعة العضوية وغير العضوية، فالارض والماء والهواء والكواكب اعتبرت جميعها كائنات حية، وقد قاد الاعتقاد بالسحر والتعاويذ الى تقسيم المواد الحية الى ايجابية وسلبية بغض النظر عن خواصها الحقيقية، ونافعة كانت ام ضارة للانسان، فقد اعتقد السومريون مثلاً بوجود صفات مباركة في الحجر الاسود، وبوجود صفات سلبية

---

(١) محمد خليفة احمد حسن، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) و م . هـ . بوب إدزارد، رولينع .ف، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣) نخبة من الباحثين العراقيين، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) صمويل نوح كريمر، من الواح سومر، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٥) سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٤١٥.

ضارة في الحجر الابيض، اما البابليون فقد اعتقدوا ان الصراصير السوداء تنذر بالمصائب على عكس الحمراء.[١]

امتاز السومريون ايضاً بانجازاتهم وتفوقهم في مجال الرياضيات وعلم الفلك[٢] ففي العهد السومري عمل في اراضي القصر والمعابد عشرات المحاسبين الذسن اجروا حسابات دقيقة للمنتوجات والقوى العاملة، حتى انهم اعتمدوا على الكسور لتقدير ايام العمل، كذلك تطلب القيام بمشاريع الري والبناء معرفة الحساب والهندسة، فقد استعملوا النظام الستيني في الحساب رغم صعوبته وكان من رواسب التصورات الدينية اي العدد (٦) والاعداد الناتجة عنه مثل ١٢، ٣٦، ٣٦٠ الخ ...) واعتبرت اعدادا محظوظة، وفيما بعد ظهر نظاماً عشرياً وسطياً فكان عملياً اكثر من النظام الستيني والاعداد الرئيسية فيه هي العدد ٦٠ (ناتج عن ضرب ٦×١٠) والى هذا النظام يعود تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة، والساعة الى ٦٠ دقيقة، والدائرة الى ٣٦٠ درجة والسنة الى ٣٦٠ يوم.[٣]

ومن الانجازات المهمة في مجال الرياضيات لدى السومريين والبابليين كان انشاء النظام الموقعي الذي يتبدل فيه معنى الارقام حسب موقعها في الاعداد المركبة، كما تجدر الاشارة الى ظهور مبادئ الجبر والهندسة اذ حلت معادلات من الدرجة الثانية، وحسبوا طول المحيط ومساحة الدائرة وغير ذلك[٤] واهم العلوم التي أبدعوا فيها يمكن تلخيصها بما يلي:

علم الفلك:

اما علم الفلك فقد كان على صلة وثيقة مع علم التنجيم، ومما دفع الى دراسة النجوم الاعتقاد الشديد بتأثير كواكب السماء على مصير الفرد او المجتمع.[٥] هذه الدراسة بالاضافة الى الاوهام المتراكمة نتيجة تطابق ظواهر السماء احياناً مع حوادث تجري بالواقع على الارض، قادت الى نتائج موثوقة ذات قيمة علمية، فعرفت مثلاً العلاقة بين الشمس وبروج الافلاك في يوم الاعتدال الربيعي (هذه العلاقة تتبدل كل ٢٠٠٠ سنة)، كما تنبأوا بحدوث الكسوف والخسوف، وعرفوا سلفاً متى يكون القمر على اقرب

---

(١) كونتينو جورج، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٢) سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(٣) صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) كونتينو جورج، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٥) سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٤١٨.

مسافة من الارض، ونشأ في بلاد النهرين تقويم شمسي وقمري ما لبث ان انتشر الى البلاد المجاورة[١] وقد تطلبت امور الزراعة دقة كبيرة في حساب التقويم، فمثلاً كل ثلاث سنوات اضيف شهر كبيسي حتى تتساوى السنة القمرية مع السنة الشمسية.[٢]

الطب:

كان في العهد السومري من الصعوبة تشخيص الامراض واسبابها، وقد فسروا ذلك عادة بدخول ارواح شريرة في جسم المريض او نتيجة لسوء نوايا السحرة او مكائد الساحرات وغير ذلك[٣] لذلك اعتبروا ان الصلوات والتعاويذ وحرق تماثيل السحرة من افضل طرق العلاج، اما الادوية فقد كان لها دوراً اضافياً، وكان اكثر العلوم تحرراً من امور السحر الكاذبة هو علم الجراحة حيث يقوم على معالجة ظواهر واضحة للعيان، وقد تجرأ الاطباء البابليون في عهد حمورابي (في القرن الثامن عشر قبل الميلاد) ان يقوموا بعمليات معقدة في العين، كإزالة المياه الزرقاء بواسطة سكين من البرونز مثلاً، ولكن في حال فشل العملية يتعرض الطبيب لعقاب شديد.[٤]

التاريخ والجغرافيا:

لم تعرف شعوب بلاد النهرين العلوم التاريخية بمفهومها الحالي، ولكن تم وضع قوائم بأهم الحوادث ووصف الحروب ونشاط الملوك العمراني واعتقدوا ان اسباب التحولات التاريخية تعود الى ارادة الالهة التي تعاقب على الذنوب، او الى نشاط الملوك الاخيار او الاشرار.[٥]

اما فيما يتعلق باهتمام السومريين والاكديين بعلم الجغرافيا، فإنه يمكن القول بأن شعوب بلاد النهرين كانوا يعتقدون بأن الارض اله (الالهة كي – وفيما بعد الاله بل) مولود من المحيط الازلي، فقد تصوروا ان اليابسة تحيطها المياه من جميع الجهات، واعتقدوا ان البحار ناتجة عن تدفق المحيط الكبير الذي يلف الارض النافرة بأكملها[٦] كما تصوروا الجهات الاربعة بأنها عبارة عن فضاء خارجي فسيح،

---

(١) صمويل نوح كريمر، من الواح سومر، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٢) نخبة من الباحثين العراقيين، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٣) عبد اللطيف البدري، الطب في العراق القديم، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٠، ص ١٩٦.

(٤) نخبة من الباحثين العراقيين، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٥) كونتينو جورج، المصدر السابق، ص٦٧.

(٦) صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص ٧٨.

وقد تم تحديد المناطق الجغرافية عادة حسب خطة معينة، كحساب المحيط، او القياس من اليمين الى الشمال، او حسب مبدأ المقارنة.[١]

الفنون:

بفضل التنقيبات التي جرت في القرنين التاسع عشر والعشرين أصبح معروفاً لدينا الكثير مما انتجه المهندسون المعماريون والنحاتون والرسامون في بلاد النهرين القديمة. تلك المخلفات الفنية، بالإضافة الى كونها تعكس ملامح السلطة والسيادة في بلاد الشرق القديم، تميزت بصفات خاصة حددتها طبيعة الظروف المحلية.[٢]

ففي البناء استعمل السومريون والاكاديون، بصورة رئيسية الطوب المجفف بالشمس، اما استعمال الحجر والخشب فكان على نطاق ضيق كرصف بعض الاماكن بالحجارة، او صنع الابواب الخشبية وقد تميز طابع البناء بالبساطة والفخامة والفن الهندسي، كما امتاز بناء المعابد بصورة خاصة بتشييد البروج المدرجة (الزقورات) المؤلفة من خمسة او سبعة طوابق، والتي تعتبر كسلالم تصل الارض بالسماء، وحاكم الارض بحاكم السماء – حسب اعتقادهم – وفي ذات الوقت تستخدم كمراصد لمراقبة كوكب السماء.[٣]

كما اتصفت النقوش والرسوم على الالواح المنحوتة بالبساطة والتشابه والتكرار، اذ نلاحظ المشاهد الكثيرة تتوزع في مناطق متعددة على سطح اللوحة بنمط واحد، وقد برز الملوك والالهة على اللوحة بمقاييس كبيرة لإظهار تفوقهم على الشعب البسيط[٤] لكن لا بد من الاشارة الى انه وفي بعض الاحيان جرت محاولات لتخطي القوانين الفنية السائدة والتحرر من الاعراف التقليدية، ففي عهد الدولة الاكادية التي ضمت شعوباً متعددة، ونتيجة لاتساع علاقاتها مع العالم الخارجي، ظهرت تبدلات عميقة في الاساليب الفنية ويشهد على ذلك النصب الرائع الذي يخلد انتصار نار ام سين، فنلاحظ على ارضية النصب منظراً يمثل جبلاً طبيعياً، جنواً يصعدون بخطوات موزونة على حافات الصخور، والملك يلوح

---

(١) صمويل نوح كريمر، من الواح سومر، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٢) ثروت عكاشة، تاريخ الفن العراقي القديم سومر وبابل واشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، د.ت، ص ٥٠٣.

(٣) صمويل نوح كريمر، السومريون، المصدر السابق، ص٨٣.

(٤) ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص٥١٧.

برمح مسدد فيقتل جندياً معادياً ويهرب يائساً جندياً آخراً [1] ويمكن القول بأن الحركات المتعددة في هذه اللوحة والتعبير عن ثقة المنتصر، وذعر المدحور كل هذا يترك انطباعاً عميقاً في النفس.

الخاتمة والاستنتاجات:

- ان الحضارة التي قامت في حوض دجلة والفرات كانت من ابداع شعوب عديدة، اغنى كل منها الاخر بما توصل اليه في مجال الادب والعلم والفن والنشاط العمراني وغيرها، وان الاسبقية في كثير منها يعود للسومريين، كما ساهمت بقسطٍ كبير الشعوب السامية من اكديين وآشوريين وآموريين، وعندما ازدهرت بابل أطلق على تلك الحضارة المركبة اسم الحضارة البابلية.
- على الرغم من ان عقائد السومريين والاكديين كانت قد اتصفت كباقي العقائد الدينية القديمة بنزعة المحافظة على القديم، وثبات الاراء والتصورات التي فات زمانها، الا انها لم تبقى على حالها فكان لابد لها ان تتغير وتتطور تحت تأثير التحولات الاقتصادية والتطورات الاجتماعية.

- ان الحروب والصدامات العسكرية التي حدثت انذاك لم تكن عائقاً ولا حاجزاً امام حركة التطور والعمران، لذلك فإنها لم تكن لتعيق عملية التفاعل الحضاري بين السومريين والاكديين وبين الشعوب الاخرى أيضاً.
- ان انصهار الشعب السومري في الشعوب السامية قد رافقه استيعاب الساميين لعناصر عديدة ومصطلحات مختلفة من اللغة السومرية التي أصبحت وبمرور الوقت لغة ميتة وخاصة فيما يتعلق بالأسماء الجغرافية والمصطلحات العقائدية.

قائمة المصادر:

١- محمد خليفة احمد حسن، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.

٢- نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥ .

٣- صمويل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣.

[1] و م . هـ . بوب إدزارد، رولينع .ف، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

٤- سليم طه التكريتي، العراق القديم: دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية و الاجتماعية، دار الحرية للطباعة، بغداد.
٥- فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.
٦- سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.
٧- رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، تعريب: الان البر أبونا و وليد الجادر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨.
٨- صمويل نوح كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر ومراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي، بغداد والقاهرة، ١٩٥٧.
٩- كونتينو جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط٢، ١٩٨٦.
١٠- و م . هـ . بوب إدزارد، رولينغ .ف، قاموس الالهة والاساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) والحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ترجمة: محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧.
١١- يوسف امين قصير، جلجاميش في العالم السفلي (مسرحية شعرية)، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢.
١٢- عبد اللطيف البدري، الطب في العراق القديم، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٠.
١٣- ثروت عكاشة، تاريخ الفن العراقي القديم سومر وبابل واشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، د.ت.